

الوافي في الوفيات

لك صورةٌ ذَلَّـ الجمالُ لحسنها ... تقصي برَجَـور في النفوس وتحكمُ .
ومن العجائب أنَّـ طرفك مُشْعِرُ ... سُقْمًا وأنتَ بسُقْمه لا تعلمُ .
ومنه :

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيونُ ترامى بالظنون ضميرُها .
أماطتُ عن الشمس المنيرةِ بُرُوقُعا ... فغيَّبنا عن أعين الناسِ نورُها .
قلتُ : شعرٌ جيدٌ طبقةً .
القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير جمال الدين .

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى ينتهي إلى بكر بن وائل وزير حال القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي أحد الكتّاب المشهورين المبرزين . وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً وأُمُّه امرأة بادية من العرب من قُضاة وأمَّها جارية حبشية . ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية وأقام بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل . ولد سنة ثمان وستين وخمس مائة وتوفِّي سنة ست وأربعين وست مائة . وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحبُّ من الدنيا سواها ولم يكن له دارٌ ولا زوجة ؛ وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب . وهو أخو المؤيد القفطي . ووفاته في شهر رمضان . وقال ياقوت : أنشدني لنفسه بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وست مائة :

ضدَّانِ عِنْدِي قَمَّـرَا هَمَّـتِي ... وَجَهْ حَـيِّيَّـ ولسانُ وِقَاحٍ .
إِنْ رُمِّتُ أَمْرًا خَانِنِي ذُو الْحَيَا ... وَمِـقْـوَلِي يَطْمَعُنِي فِي النِّجَاحِ .
فَأَنْثَنِي فِي حَـيْرَةٍ مِنْهُمَا ... لِي مِـخْلَبٌ مَاضٍ وَمَا مِنْ جَنَاحٍ .
شَبِيهَ جَبَانٍ فَرَّـ مِنْ مَعْرَكٍ ... خَوْفًا وَفِي يَمْنَاهِ عَضْبُ الكِفَاحِ .
قال : وأنشدني له أيضاً :

شَيْخٌ لَنَا يُعْزِي إِلَى مُنْذَرٍ ... مُسْتَقْبِحُ الْأَخْلَاقِ وَالْعَيْنِ .
مِنْ عَجَابِ الدَّهْرِ فَحَدِّثْ بِهِ ... بِفِرْدِ عَيْنٍ وَلِسَانِ .
قال : وأنشدني :
إِذَا وَجَفَّتْ مِنْكَ الْخِيُولُ لَغَارَةً ... فَلَا مَـنَعُ إِلَّا الَّذِي مَنَعَ الْعَهْدُ .

نزلتَ بأَ نطاكيَّةٍ غيرَ حافلٍ ... بقلاَّةٍ جُنْدٍ إِذْ جميعَ الوَرَى جُنْدٌ .
فكم أَهيفٍ جادته هيفُ رماحِكُم ... وكم ناهدٍ أودى بها فرسُ نَهْدٌ .
لئن دَلَّ فيها ثعلبُ الغدرِ لاوُنٌ ... فَسُحْقاً له قد جاءه الأَسَدُ الوردُ .
وكان قد اغترَّ اللعينُ بليَنكم ... وأَظمُ نارٍ حيثَ لا لَهَبُ يبدو .
جَنى النحلَ مغترِّاً وفي النحلِ آيةٌ ... فطوراَ له سُمٌّ وطوراَ له شَهدُ .
تَمُدُّكُ أَجنادَ الملوكِ تَقْرُّ باً ... وجندُ السَّخينِ العينِ جَزْرُ ولا مَدُّ .
تَهَنُّ بها بِكراَ خطبتَ ملاكها ... فأعطت يدَ المخطوبِ وانتظم العِقدُ .
فجيشك مَهْرُ والبُؤودُ حُمولُهُ ... وأسهمُكم نَثْرُ وسُمُرُ القنا نَقْدُ .

وله من التصانيف : كتاب الصاد والطاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط كتاب الدر الثمين في أخبار المتيسمين كتاب من ألوت الأيام عليه فرفعته ثم ألوت عليه فوضعتة كتاب أخبار المصنفين وما صدقوه كتاب أخبار النحويين كبير كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين ست مجلدات كتاب تاريخ المغرب كتاب تاريخ اليمن كتاب المحل في استيعاب وجوه كلام كتاب إصلاح خلل الصحاح للجوهري كتاب الكلام على الموطأ ولم يتم كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتم كتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة الكندي زيد بن الحسن كتاب نُهزة خاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب .

قال ابن سعيد المغربي : نظم الوزير المذكور بيتين في جارية اشتراها وهما :
تَيدٌ تَ هذا البدرُ من كَلَفٍ بها ... وحقَّك مثلي في دجى الليل حائرُ